(( كل الناس يغدو ))

عبدالله بن محمد حفني

إمام وخطيب جامع هيا العساف بالجميزة

موقع جامع هيا العساف : <http://www.hayaalassaf.com>

القناة الرسمية على اليوتيوب :

<https://www.youtube.com/channel/UCq3VB0Xi1Zorm3_Hje4JaCw>

الأولى

**كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا ..**

تذهب إلى شاطئ البحر فترى جموعاً كبيرة، وأفواجاً غفيرة يبحثون عن السهر واللهو، وينشدون المرح والمتع، ويتفنون في قتل الوقتِ وإضاعة العمر.

**كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا ..**

تلتفت يميناً فترى حلق العلم، ودروس العلماء في دورات صيفية ومجالس علمية فأقبلت عليها قلوب الأبرار والأخيار يغتنمون الوقت، ويبادرون العمر .

**كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا ..**

تنظر شمالاً فترى الأسواق تغص بالمتسوقين، وتمتلئ بالفارغين والزائرين، وقليل منهم من جاء لملبس أو مطعم بل جاء بعضهم يبيع أخلاقه بإشارات ونغمات وكلمات ماجنات .

**كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا ..**

تغدو إلى بيوت الله فترى حلق القرآن وتعليم البيان في الليل والنهار في دورات للضبط والإتقان وأخرى للتجويد وحفظ كلام الرحمن من شبيبة صغار يغتنمون شبابهم ويهذبون أخلاقهم .

**كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا ..**

تمضي إلى الحدائق والملاهي فإذا بالأعداد العديدة ، والألعاب الجديدة يصرف فيها المال بلا رشد ولا حساب .

**كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا ..**

تغدو إلى المطارات وصالات الرحلات فترى مشهداً من أعظم المشاهد قتلاً للقيم والأخلاق ، ووأداً للأدب والحياء.

ففي الاجازة إقبال مهيب على المنافذ والمطارات، ومكاتب الخطوط، والحجوزات في رحلة الطيور المهاجرة يغدون إلى مكاتب السياحة وأبواب الطائرات القليل منهم لا يقصد سوءاً والكثير منهم لا ينوي خيراً .

**كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا ..**

إنّني اليوم لا أفشي سراً ولا أعلن أمراً خفيّاً.

إذا رويت لكم ما سطره المسافرون هناك.

وشكوت لكم ما يجري هناك، وما أرداك ما هناك؟

فهناك تربى النفوس وتعوّد العيون على التآلف مع المنكرات والاستئناس بالفواحش، وتعم الغفلة، وتتأجج الشهوة، هناك وبلا مبالغة يستحوذ الشيطان على كثير من الناس فيلهثون وراء شهوة محرمة يجدها ظلمةً في قلبه وسواداً في وجهه.

هناك تهيأ الفرص للغريب، والغريب في أي بلد لا يتحفظ بما يتحفظ منه في بلده .

إن السفر لدى هؤلاء ليس منكرا ولكنه منكر جمع منكرات وخطيئة حوت خطايا ، هناك وما أدراك ما هناك ، يمزق ثوب الحياء وتضعف مراقبة الله .

**كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا** ..

والله يقول : ﭽ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳﯴ ﯵ ﯶ ﯷﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﭼ المجادلة: ٦

ويقول **:** ﭽ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﭼ **النساء: ١٠٨ .**

هناك وما أدراك ما هناك ؟

يتعلم الأفراد وتتربى الأسر على إدمان المنكر والاستهانة بالمعصية .

فكم من بيوت دمرتها رذيلة فُعِلَتْ هناك ؟

وكم من قيمٍ اهتزّت، وأفكار مسمومةٍ مشبوهةٍ زرعت هناك؟

**كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا**

ناهيكم عن التهاون بالصلوات وفتن التنصير، والتشيع، وبثّ الشبهات، فكم يرتكب هؤلاء باسم السفر والسياحة من خزايا وبلايا ؟

ولا ننسى الخطر الأمني الذي يفقده السائح هناك فأي متعة يجدها المسافر في أجواء مخيفة ، وأمن مضطرب وعصابات مدربة فمن أجل حفنة مال تقتل نفس ، ويعتدى على عرض ، ثم يتعدى جرم هؤلاء يوم يعودون وبئس ما عادوا به فيستعرض كل واحد ما فعل و شاهد هناك عبر صور تذكارية، ومشاهد تصويرية، ومقاطع مرئية، فيدغدغ العواطف، ويهيج النفوس، وتشتعل الغرائز، ويطمع الذي في قلبه مرض، وهذه واللهِ إحدى الكبر .

والنّبي يقول فيما رواه أبو هريرة : (( كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا المُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ المُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلاَنُ، عَمِلْتُ البَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ )) متفق عليه .

والطّامةَ الكبرى عندما يتحول السفر إلى ميدان تنافس ومباهاة ، وشرطٍ من شروط صحة الإجازة ، فالإجازة فاسدة ضائعة بغير سفر فلا يتساءل الناس في مجالسهم إلا عن السفر والسياحة ، فالإجازة تعني السفر، فالسؤال الأول قبل الإجازة وبعدها متى ستسافرون ؟ و أين سافرتم ؟

بل ربما اضطر للبعض للكذب تخلصا من تلك الأسئلة أين ومتى سافرتم ؟ فالأولاد والزوجة يلحّون ، فعائلة فلان سافرت ، وأسرة فلان سافرت ، فلماذا نحن الشاذّون ؟!

وهكذا من عبارات اللوم والعتاب ، حتّى شاع عند بعض الأسر أنّ من لم يسافر ، ويحلّق بأهله وأولاده في رحلة خارجية وسفرة سياحية فقد ظلم أولاده وأهله، وقصّر في تربيتهم، فالنقص يعتريك، والهمز واللمز يؤذيك ، والضغوط تأتيك ، فقد كنت سدّاً منيعا لحرمان أولادك من السفر والسياحة ، لقد أصبح السفر اليوم حديث المجالس بين الشباب والعائلات ، فيطير الشاب المراهق ، ويسبقه الكهل رب الأسرة ، ويرحل ساكن القرية والمدينة ليلحق بالركب حتى غدا السفر رجولة وتحديا في المجالس فترى من المبتلَيْنَ بهذه العادة ينتظر إجازته بفارغ الصبر ليختلق من أعذار السفر صنوفا يخيل إليه أنه يخدع بها من حوله تعددت الأعذار والقصد واحد ، ثم يسافر إلى هناك مستهينا بما يرتكب من جرم وإثم، وما ينتهك من حدود وحرمات، وما يتوعده من عذاب وعقاب

ﭧ ﭨ ﭽ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ الفجر: ١٤

وﭧ ﭨ ﭽ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭼ النساء:12

عباد الله إنني لا أحرم ما أحل الله فمعاذ الله ، ولا أقول إن النزهة، والترفيه، والترويح عن النفس حرام فحاشا وكلا ، ولا أقول إن السفر إلى الخارج رجسٌ من عمل الشيطان لا ورب الكعبة، فالشافعي يقول :

تَغَرَّبْ عَنِ الأَوْطَانِ فِيْ طَلَبِ العُلَى

وسافِرْ ففي الأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِـدِ

تَفَرُّجُ هَـمٍّ، واكتِسَـابُ مَعِيْشَـةٍ

وَعِلْمٌ ، وآدابٌ، وصُحْبَـةُ مَاجِـدِ

لا أقول إنَّ السياحة والراحة إحدى الموبقات السبع حاشا وكلا .

فعلي بن أبي طالب يقول: (( إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكمة))، وأبو الدرداء : ((إني لأستجم قلبي بشيء من اللهو ليكون أقوى لي على الحق))

فالترويح والسفر للنزهة ليس حراما ، ولكن الذي نقوله لأنفسنا هو أن المحرم هنا محرم هناك، وأن الذنب هنا ذنب هناك، وأن الحجاب دين هنا وشرع هناك وأن الفاحشة كبيرة هنا ، وكبيرة هناك وأنَّ الله رقيب هنا ورقيب هناك .

إذا ما خلوْتَ، الدّهرَ، يوْماً، فلا تَقُلْ خَلَوْتَ ولكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبُ

ولاَ تحْسَبَنَّ اللهَ يغفِلُ ساعةً وَلا أنَ مَا يخفَى عَلَيْهِ يغيب

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم ...

الثانية

كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا، والْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنِ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الأماني.

حدثتنا بطون الكتب عن أقوام ما عرفوا في حياتهم إجازة، بل كانت اسما غريبا عليهم، حدثتنا السطور وما وراءها أن الإمام أحمدَ بن حنبل ~ استوقفه رجل في طريقه فقال يا إمام: إلى متى تقرأ العلم ؟ فقال له الإمام أحمد وهو ماضٍ في طريقه: قولة حق أصبحت مثلاً، وأصبح الجيل بعد الجيل يرويها، قال له قولته المشهورة، التي أنصت لها الدهر، وحفظها التاريخ : " مع المحبرة إلى المقبرة ! "

بل تحدثنا السطور وما وراءها، أن الإمام أَحْمد بن حَنْبَل ~ جاءه رجل من أهل خُرَاسَان فَقَالَ يَا أَبَا عبد الله قصدتك من خُرَاسَان أَسأَلك عَن مَسْأَلَة قَالَ لَهُ سل قَالَ مَتى يجد العَبْد طعم الرَّاحَة؟ وفي عرفنا متى يجد العبد طعم الإجازة؟ قَالَ عِنْد أول قدم يَضَعهَا فِي الْجنَّة . المقصد الأرشد (2/398)

والله ما كانت الإجازة في قاموس حياتهم، فها هو أحد البطالين يستوقف أحد الأئمة ليقول له: أريد أن أجلس معك فقال: أمسك الشمس عن المسير حتى أجلس معك!

أن دقاتِ قلب المرء قائلةٌ له إن الحياة دقائق وثواني

فاحفظ لنفسك قبل موتك ذكرها فالذكر للإنسان عمر ثانٍ

هذا الوقت الذي يشحون به هو الذي جعل الفقيه أبا يوسف يسأل إبراهيم بن الجراح رحمهما الله وأبو يوسف في النزع الأخير فلما أفاق قال لإبراهيم: يا إبراهيم ما تقول في مسألة كذا وكذا؟ فقلت له: أفي مثل هذه الحالة يرحمك الله، فقال: لا بأس بذلك لعله ينجو به ناج، ثم قمت من عنده فما بلغت بابه حتى سمعت الصراخ عليه، وإذا هو قد مات رحمه الله .

أنى لأوقاتهم أن تضيع، ولإجازاتهم أن توجد في معاجم نفوسهم، ونحن نسمع أن أبا مسلم الخولاني رحمه الله يقول: "والله لو قيل لي: إن جهنم تسعُر الآن ما استطعت أن أزيد في عملي شيئًا" .

إن هؤلاء بشر ليسوا بملائكة نزعت منهم الرغبات بل هم بشر لهم نفوس كنفوسنا، وأجساد كأجسادنا، وأرواحهم لم تخلق من نور ونحن من طين، ولم ترصف بالدر الأحمر، ونحن من ماء مهين، لكن لهم همم وعزائم تفوق الخيال .

بقدرِ الكدِّ تكتسبُ المعالي ومن طلب العلا سهر الليالي

تروم العز ثم تنام ليلاً يغوص البحر من طلب اللآلي

لنقلُ الصخر من قلل الجبال أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مِنَنِ الرَّجَالِ

يَقُولُ النَّاسُ لي في الكسْبِ عارٌ فقلت العار في ذل السؤال

إذا عاش الفتى ستين عاماً فنصف العمر تمحقه الليالي

و ربع العمر يمضى ليس يدري أيقضى في يمين أو شمال

و ربع العمر أمراض وشيب وشغل بالتفكر والعيال

فحب المرء طول العمر قبح وقسمته على هذا المثال

يندم ابن مسعود ، أتدرون على ماذا؟ يقول " والله ما ندمت على شيء قط كندمي على يوم غربت شمسه، نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي".

يا الله كم من أيام غربت وطلعت شمسها نقصت فيها أعمارنا وتراكمت سيئاتنا ؟

يقول الحسن البصري ~ : "أدركت أقواما كانوا على أوقاتهم أشدَّ حرصًا من غيرهم بدنانيرهم ودراهمهم" .

ويذكر الإمام السخاوي ~ في الضوء اللامع : أن الحافظ محمد الصاغاني ~ كان إمامًا علامة متقدمًا في الفقه والأصول والعربية، عظيم الرغبة في المطالعة والانتقاء, بحيث بلغني عن أبي الخير بن عبد القوي أنه قال أعرفه أزيد من خمسين سنة, وما دخلت إليه قط إلا ووجدته يطالع أو يكتب! وما وجدوه مضيعًا لوقته أبدًا .